ظهر حديثا

مائة سنة من الحياة السويسرية فى القاهرة[1]

أخرج الأستاذ فيشتر ، مدرس اللغة الفرنسية بجامعة فاروق الأول ، كتاباً ذهبيا بمناسبة مرور عشرين سنة على ظهور جريدته السويسرية التى يصدرها فى الاسكندرية لمواطنيه فى مصر والشرق الأدنى *Journal Suisse d'Egypte et du Proche-Orient.* وهذا الكتاب الضخم ، الذى يحوى أكثر من ثلاثمائة صفحة مصورة من الحجم الكبير ، يعبر قبل كل شئ عن مظاهر السعادة والوداعة التى أسبغها السويسريون على حياتهم فى مصر ، وعلى مظاهر الوئام والتعاون التى طبعوا بها علاقاتهم ، سواء فيما بينهم أو بينهم وبين المصريين .

والكتاب سجل للنشاط الفائق الذى قام به رجال هذه الجالية الأجنبية فى القاهرة منذ مائة سنة فى مختلف نواحى الحياة المصرية ، صناعية وزراعية وتجارية ، واجتماعية وثقافية ، سجل لا يملك المتصفح لأبوابه إلا أن يرمقها بالدهشة والاعجاب ، و يمتلك المصرى الذى يطلع عليه شعور بالتقدير مختلط بنوع من الأسف . وهذا الأسف لا يرجع إلى أن هذه الجالية النشيطة الوثابة قد أفلحت وآثرت وأثمرت ، ولكنه أسف على أننا ، نحن أبناء مصر ، لم نهتد بعد إلى إخراج سجل مثل هذا الذى أخرجه السويسريون عما قام به أجدادنا وآباؤنا ، وعما قمنا به نحن أنفسنا من أعمال مجيدة فى سبيل تحقيق نهضتنا الشاملة لمختلف نواحى الحياة ، مادية وفكرية . جميل أن نعرف ما يقوم به الأجانب فى مصر ، وأجمل منه أن نعرفهم ماتقوم نحن به سواء بمفردنا أو بالتعاون معهم ، وأن نرسم لهم صورة واضحة براقة لمجهوداتنا المثمرة .

وقد لا يتسع المجال هنا لايضاح ما يحويه الكتاب الذهبى السويسرى من أبواب وفصول ، فهو بحق دائرة معارف « إقليمية » ، إن صح لى أن أختلس هذا التعبير لحصر ما تشعب فى هذا الكتاب من مقالات وأبواب .

(١) *Cent ans de vie suisse au Caire.*

نقرأ فى مقدمتها قصة الحياة الرسمية السويسرية وتاريخ العلاقات السياسية التى ربطت سويسرا بمصر ، وفى أبواب أخرى أبان لنا المسيو فيشتر أطوار معاهد التعليم والرياضة والفنون والدين والصحة والسياحة التى أنشأها أفراد هذه الجالية وجمعياتهم فى القاهرة . ونمر فى أبواب أخرى بمؤسسات شركاتهم الصناعية والمالية والزراعية ، وبغير ذلك مما يزداد وضوحاً بالأرقام والصور والرسوم البيانية .

وفى الكتاب فصل كبير عن حياه عظماء الرجال الذين صرفوا شطراً كبيراً من حياتهم فى مصر لخدمة العلم والأدب والفن ، من بينهم رحالون جاءوا مصر واستوطنوها . ولعل يوحنا بوكارت هو أكثرهم شهرة وأشدهم مغامرة . وقصته لا شك جديرة بالنشر ، مثيرة للعواطف ، وهو ذلك الفرنجى المعمم ، والمسيحى المسلم ، والأديب المستشرق الذى اختطفه الموت فى ريعان شبابه ، والذى ما زال قبره قائماً بين مقابر المسلمين ، تطل عليه مآذن القاهرة ، ويقرأ على شاهده «هذا قبر الشيخ الحاج إبراهيم المهدى ابن عبد الله بوركارت اللوزانى » .

ومن عظماء الرجال هؤلاء ، علماء فى الطبيعة وفى علم طبقات الأرض ، وأطباء وقضاة وأساتذة ، ومستعربون ومستشرقون ، يكفينا أن نذكر منهم إدوارد نافيل E. Naville وما كس فان برشم Max Van Berchem . أما الأول فقد عكف على دراسة التاريخ المصرى القديم ، وتفرغ للبحث عن حلقاته والكشف عن آثاره . وأما الثانى فتصدى للدراسات العربية ، وشهرة بحوثه فى اللغة وفى التاريخ وفى الآثار الاسلامية أوسع من أن يشار إليها فى مثل هذا العرض الوجيز .

يخيل إلى بعد أن قرأت كتاب « المائة سنة من الحياة السويسرية فى القاهرة » أننى أقرأ فى الوقت نفسه صفحات مجيدة من الحياة المصرية ، هذه الحياة التى اتسعت آفاقها فاجتذبت فى كل ناحية من نواحيها رجالا غرباء ، فطوتهم تحت كنفها وغرستهم بين زرعها ، فباتوا وأصبحوا من خيرة أبنائها .

أحمد فكرى

تراجم إسلامية : شرقية وأندلسية للاستاذ محمد عبد الله عنان (دار المعارف — القاهرة)

احتص الأستاذ محمد عبدالله عنان منذ بعيد بالغوص فى موسوعات التاريخ الاسلامى لاصطياد لآلئه وجلائها على أعين القراء فى إطار بديع من أسلوبه ومن فنه ، ليقرب إلى هؤلاء القراء سبيل البحث والدرس ويكشف لهم من صور ذلك التاريخ لوحات رائعة لعلها لو لم يجهد الأستاذ عنان لكشفها ونفض غبار التاريخ عنها كانت حتى اليوم خبيئة تحت الركام لا تنفذ إليها العين ولا تخلص لها النفس . وقد نشر الأستاذ عنان وأذاع طائفة من هذه الصور لطائفة من حوادث التاريخ الاسلامى ورجاله أو نسائه كأنه بما جلاها وكشف عنها قد أنشرها من موت وردها إلى الحياة .

وهذه المجموعة التى تنشرها له اليوم دار المعارف بالقاهرة تصور حلقة من هذا الجهد المتصل الذى يبذله الأستاذ عنان لازاحة الأنقاض المتراكمة عن أمجد صور البطولة فى التاريخ العربى والاسلامى ؛ وقد ترجم فيها لثمانية عشر من أعلام هذا التاريخ فى الشرق وفى الأندلس ، بين رجال ونساء لا تزال أسماؤهم على مر القرون تتردد على شفاه القوم وإن لم يعرف على التحقيق أولئك الذين تتردد هذه الأسماء على شفاههم ماذا كان شأن أصحاب هذه الأسماء ومتى ابتدأت حياتهم وأين كانوا وما أحدثوا فى التاريخ أو أحدث بهم التاريخ ! فليس كل فضل الأستاذ عنان أنه يكتشف هذه الصور وينشر هذه التراجم ، ولكنه إلى ذلك يضع لهذه الاسماء الدائرة على الأفواه مسمياتها ، وهو جهد مشكور لمكافحة « الأمية التاريخية » فى هذه الأمة التى تطلب المجد بغير أسبابه !

بلى ، فان على الشفاه أسماء هرون الرشيد ، وست الملك ، وشجره الدر ، وصقر قريش ، وعبد الرحمن الناصر وما شئت من أسماء بلا مسميات ولا معان ؛ يباهى بها من يباهى ولعله أن يذكرها فى مقام الاحتجاج مفاخراً بأمجاد الماضى فاذا سألته البيان عىَّ وانقطعت حجته ، وفى مثل هذا الكتاب الحجة الموصولة والبيان الذى ينشده .

على أننا نغمط الأستاذ المؤلف حقه إن تركنا القارئ يظن أن كل جهده فى مثل هذا الكتاب هو « الكشاف »

الصورة وجلاؤها فى إطارها ، فانه مطلب يسير على كل من يرصد له جهده ولكن ثمة التحقيق والبحث والتنقيب والدرس والرجوع إلى المصادر المختلفة فى كتب الشرق والغرب ، المطبوع منها والمخطوط ، للنقد والموازنة والاستنباط واستخلاص الحق من الباطل واستبلاد الصواب من الخطأ ؛ وهو جهد لا يقدر عليه ولا تتهيأ أسبابه إلا للقليل من أهل التحقيق والرأى والاطلاع المنبسط العميق . وهو الجهد الذى يبذله الأستاذ عنان لوجه العلم ليقدم لقرائه مثل هذا الكتاب .

الأساس فى تعليم القراءة للأستاذين ابراهيم أنيس وابراهيم الشربينى (مكتبة الجيزة)

روضة الطفل ، دار المعارف ، بمعاونة الأساتذة أمينة السعيد ويوسف مراد وسيد قطب .

قصص المدرسة للأستاذين أمين دويدار ومحمود زهران (مكتبة نهضة مصر)

أيقتضينى المقام أن أقدم المعذرة لقرائى قبل أن آخذ فى الحديث إليهم عن هذه الكتب التى أخرجتها المطبعة المصرية فى هذه الأيام للصغار من أبنائهم وبناتهم لا للكبار من قراء هذه الصحيفة الخاصة بالكبار ؟

قد يكون من حق القراء أن أعتذر إليهم قبل أن آخذ فى هذا الحديث ؛ لا من أننى أعرض عليهم هذه الكتب الطفلية وكانوا ينتظرون ألا أعرض عليهم فى هذا المكان غير ما يعنيهم من كتب الكبار ، بل من أننى لم أعرض عليهم قبل اليوم مثل هذه الكتب الطفلية وكان من حقهم على — أو على المؤلفين وأصحاب الأقلام — ومن حق أبنائهم وبناتهم كذلك أن أعرض عليهم كل ما تخرجه المطبعة العربية من كتب الصغار ؛ أليس الطفل — كما يقولون هو أبا الرجل وأمه ؟ فمن أين ننتظر أن يكون فى العربية غدا جيل من القراء والقارئات يلتمسون فيما يقرءون منفعة ولذة إذا لم نعود أطفالنا منذ اليوم أن يقرءوا وأن يلتمسوا فى القراءة منفعة ولذة ؟

إن الصيحات لتتوالى من كل جانب بالشكوى من قلة إقبال متعلمينا على القراءة ، و إن المعنيين بشئون الأدب والتربية ومستقبل الثقافة العربية

ليشفقون من سوء المصير لقلة هذا الاقبال على القراءة ولا يكادون يلمسون أسبابه ؛ أما أنا فأزعم أننى قد عرفت السبب والنتيجة ؛ فما قل إقبال متعلمينا على القراءة إلا لأنهم لم يعودوها منذ الطفولة ، ولو قد عودهم معلموهم ومعلماتهم ، أو آباؤهم وأمهاتهم ، أن يقرءوا منذ الطفولة ، لوجدوا لذة القراءة فتعودوها فالتمسوا لذتهم فيها كباراً كما كانوا يلتمسونها صغاراً ؛ وإذن فمن هنا كان أول النقص فى التربية ؛ ولكن ماذا يقرأ أطفالنا ؟ ماذا نقدم إليهم نحن المعلمين والمعلمات أو الآباء والأمهات من فنون المقروء لنغريهم بما فيه من المتاع واللذة على تعود القراءة ؟ هذا هو السؤال الذى لا أكاد أجد جوابه ؛ فما أظننى أكون غالياً فى القول إن زعمت أن المطبعة العربية ، أو أن المؤلفين العرب ، لم يقدموا للطفل حتى اليوم شيئاً ذا بال يستطيع أن يضمه إلى مكتبته الصغيرة ليقول مباهياً إن لى كتاباً أخلو إليه ساعة من النهار كما يخلو أبى إلى كتابه!

بلى ، هناك محاولات فى أدب الطفل العربى قد أصابت خطأً من التوفيق ، ولكن ذلك ليس شيئاً بالقياس إلى ما نريد . إن الطفل فى أول مراحل التعليم أشره إلى القراءة من أبيه وأمه ، لأنه فى هذه السن أفرغ وقتاً وأقوى رغبة فى المعرفة ولأن أحب شئ إليه أن يقلد ، وأن يطلع ، وأن يحاول الوصول إلى أسباب المعرفة وحده . تلك حقيقة يعرفها كل معلم وكل أب ؛ فلو أننا أخذنا بالقياس لكان علينا أن نقدم إلى الطفل من الكتب أكثر مما نقدم إلى الآباء والأمهات قبل أن نزعم أن بين أيدى أطفالنا ما يقرءون ! وإذن فنحن لم نقدم حتى اليوم للطفل ما يقرؤه ، لأن هذا القليل النادر مما أخرجته المطبعة العربية من أدب الأطفال ليس شيئاً — من حيث الكم على الأقل — إلى ما ينبغى أن نقدم إليه ؛ وإذن فان من حقى أن أغتبط ، أنا الأب القارئ ، حين نقدم إلى المطبعة كتاباً أستطيع أن أدفعه إلى ابنتى ، أو إلى ابنى ، ليقرأه فى ساعة من ساعات فراغه الطويلة ؛ وإذن فليس من واجبى أن أعتذر إلى الكبار من قراء هذه المجلة من أننى أعرض عليهم اليوم هذه الكتب الطفلية ؛ فقد كان الأمثل أن أعتذر ، أو أن يعتذر المؤلفون وأرباب الأقلام ، لأنهم لا يتيحون لمثلى أن يعرض على قرائه فى كل عدد من أعداد هذه المجلة كتاباً أو طائفة من كتب الأطفال ؛ لأن مؤلفينا وأرباب الأقلام فينا لا يعترفون بما

عليهم من حق لهؤلاء الأطفال ولا يزالون مع ذلك يحارون بالشكوى من قلة إقبال الكبار على القراءة !

والآن ما هذه الكتب التى أسلفت أسماءها فى صدر هذه الكلمة ؟

أما أولها « الأساس فى تعليم القراءة » فكتاب جديد فى التهجى — وكتب التهجى كثيرة فى أيدى التلاميذ والمعلمين — ولكن هذا كتاب له منهاج ؛ فقد استن فيه المؤلفان سنة جديدة برياتها ،أسرع بالطفل إلى التعلم ، بعد تجربة طويلة — كما يقولان — على التلاميذ الأجانب فى كلية فيكتوريا ؛ وقد أتاحت لهما هذه التجربة أن يضعا أساساً أو منهاجاً بسطاه بايجاز فى المقدمة وجعلا هذا الكتاب تطبيقاً عليه .

وأما الثانى « روضة الطفل » فسلسلة من القصص لطفلية الطريقة مفننة مصورة ملونة أخرجت منها دار المعارف حلقتين ، إحداهما قصة « أرنبو والكنز » ، والثانية قصة « كتكت المدهش » ، ووعدت باخراج غيرهما ؛ وقد دفعت الكتابين إلى ابنتى — وهى طفلة دون السادسة ولم تزل فى الفرقة الثانية بالروضة — فقرأتهما فيما دون الساعة وجاءت تقصهما على وتطلب المزيد . . .

وأما الكتاب الثالث « قصص المدرسة » فمجموعة من الأقاصيص الصغيرة للاطفال فى المدرسة الابتدائية أنشأها مؤلفاها وفاء بحاجة تلاميذ المدرسة الابتدائية إلى هذا النوع من الحكايات ، فجاءت بأسلوبها وفنها وصورها وافية بالغرض إلى الحد الذى حمل وزارة المعارف على تقريرها لتلاميذ وتلميذات السنة الأولى بالمدارس الابتدائية .

ليت أدباءنا ومؤلفينا يعرفون ما عليهم من حق لأطفالنا الصغار فيفرضها كل منهم ضريبة على نفسه أن يقدم فى كل عام كتاباً للصغار إلى جانب الكتب الكثيرة التى تؤلف للكبار فلا يقرؤها الكبار ولا الصغار !

محمد سعيد العريان